العولمة وأزمة الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري

حواوسة جمـــال
قسم علم الاجتمـاع
جامعة 8 ماي 1945 – قالمـة

الملخَّـص:

لقد شهدت السنوات الأخيرة اهتماماً كبيراً بالدراسات التي تناولت موضوع الهوية، وأصبح هذا الاهتمام تعبير عن أزمة حقيقية تعيشها الفئات الثقافية المختلفة بما فيها الشباب في ظل العولمة التي تسعى إلى نفي ثقافة الآخر، وفرض نمط واحد للاستهلاك والسلوك.

ورغم أن عملية تكوين الهوية عملية مستمرة، إلا أن مشكلة تكوينها تصل ذروتها في مرحلة الشباب التي تعيش حالة تناقض وصراع بين الماضي والحاضر. وعليه، فإن هذه الدراسة تسعى إلى محاولة الكشف عن آثار العولمة على الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري وسبل التعامل معها.

الكلمات المفتاحية : العولمة، الأزمة، أزمة الهوية، الهوية الثقافية، الشباب.

Résumé:

Ces dernières années, ont vu un grand intérêt dans les études sur le sujet de l'identité, et cela est devenu une manifestation d'intérêt pour une véritable crise vécue par les différents groupes culturels, y compris les jeunes dans le contexte de la mondialisation, qui cherche à nier la culture de l'autre, et l'imposition d'un modèle unique de consommation et de comportement.

Bien que le processus de formation d'identité est un processus continu, mais le problème de la composition atteint son apogée à l'âge adulte dans un état de contradiction et de conflit entre le passé et le présent. Par conséquent, cette étude vise à essayer de détecter les effets de la mondialisation sur l'identité culturelle de la jeunesse algérienne et les moyens de les traiter.

Mots clés: mondialisation, crise, crise d'identité, l'identité culturelle, les jeunes.

Abstract:

Recent years have seen a great deal of interest in the studies on identity. This concern has become a real crisis experienced by different cultural groups, including young people, in the shadow of globalization, which seeks to negate the culture of the other and impose a single pattern of consumption and behavior.

Although the process of identity formation is a continuous process, the problem of its formation reaches a climax in the stage of young people who live in contradiction and conflict between past and present. Therefore, this study seeks to attempt to uncover the effects of globalization on the cultural identity of Algerian youth and ways to deal with it.

Key words: globalization, crisis, identity crisis, cultural identity, youth.

مقدمة:

لقد شغلت قضية الهوية الثقافية اهتمامات المفكرين والباحثين في جميع التخصصات، كونها من أهم السمات المميزة للمجتمع، فهي تنطوي على مبادئ وقيم تدفع الإنسان إلى تحقيق غايات معينة، وعلى ذلك فالهوية الثقافية لمجتمع ما لابد وأن تستند إلى معايير قيمية ومبادئ أخلاقية وضوابط اجتماعية تستمد منها قوتها، خاصة في عصر العولمة الذي ترك آثاراً واضحة على هذه الهوية.

والملاحظ أن الهوية الثقافية تتأثر بشكل لافت بالبث الإعلامي الفضائي وثورة الاتصالات الحديثة المتمثلة في شبكة الإنترنت، وما تبثه من قيم ثقافية ومفاهيم عقائدية وسلوكيات دخيلة على المجتمع العربي بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة، وهذا ما أدى إلى ظهور ما يسمى بالعولمة الثقافية التي تفرض ثقافة عالمية واحدة تلغي كل الفروقات والحدود والأقاليم والمعتقدات والعادات، وهي ثقافة الولايات المتحدة الأمريكية.

ومن هنا، فإن من بين التحديات التي تواجه الهوية الثقافية نجد العولمة التي تسيرها وتسيطر عليها المادة في كل جوانبها، ففي ظل الظروف والتغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية التي يمر بها المجتمع الجزائري أصبح الفرد يعيش في حالة تيه وضياع وتشتت وانحلال، وخاصة الشباب الذي لم يعد بمقدوره التمسك بهوية واحدة بل بعدة هويات جديدة، فهو يعيش اليوم مرحلة تناقض وصراع بين نوعين من القيم، تلك التي ورثها عن

الثقافة السائدة في مجتمعه، والقيم الجديدة التي دعمها التطور العلمي والتكنولوجي (العولمة)، وهذا ما يؤدي إلى الصراع بين ما هو تقليدي وبين ما هو معاصر، أي بين القيم التي تغلب عليها الأصالة بما تحويه من ثقافة وتراث الأمة وقيمها، وبين القيم المعاصرة وما تحويه من تقدم وحضارة بشقيها العلمي والتقني.

ونظراً لكون هوية الشباب في مضمونها وجوهرها مكتسبة من خلال البيئة والثقافة السائدة في المجتمع، فإن دراستها مسألة في غاية الأهمية، ولاسيما أن مجتمعنا يشهد تغيرات وتحولات اجتماعية وثقافية مختلفة، لذا بات من الضرورة بمكان الاهتمام بأزمة الهوية الثقافية للشباب الجزائري في ظل العولمة، فإما أن يكون الشباب مرتبط بالنظام القيمي والثقافي السائد في مجتمعه، وبالتالي يكتسب هوية ايجابية، أو أن يعاني من اضطراب وتشتت وأزمة في الهوية، ومن هنا جاءت فكرة هذه الدراسة التي حاولت التعرض إلى بعض آثار العولمة (العولمة الثقافية) على الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري من خلال بعض الدراسات الميدانية والأدبيات السوسيولوجية والأنثروبولوجية.

أولاً- مشكلة الدراسة:

إن التطور الهائل في وسائل الإعلام والاتصال والانفتاح المعلوماتي الذي يشهده العالم اليوم يؤكد سير العولمة في اتجاه الهيمنة الثقافية، حيث أوجدت العولمة تفاعلات اجتماعية عالمية متزايدة بين الشعوب، مما جعل اهتمام الأفراد فيها ينتقل من الثقافة المحلية إلى الثقافة العالمية بكل ما فيها من إيجابيات وسلبيات، وأحدث صراع بين الثقافة المحلية والثقافة الدخيلة أو في إطار ما يسمى بالحداثة والمعاصرة.

وبما أن الجزائر جزء لا يتجزأ من الأمة العربية، فهي بحكم التحولات التي تعرفها على جميع المستويات الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية والثقافية...، فهي إذاً تمر بمرحلة انتقالية من مجتمع "محلي تقليدي" إلى مجتمع "تعاقدي- حديث" هذا ما أدى إلى إفراز "أزمة هوية"[1]، وصراع وبحث عن الذات في ذلك التناقض الموجود بين ثوابت المجتمع الجزائري التقليدية وقيمه وبين الممارسات اليومية المضادة لهذه القيم والثوابت.

ومما يزيد من أزمة الهوية ذلك الصراع القائم بين الرجوع إلى مصادر ومراجع الهوية الأصلية، وبين البحث عن هويات جديدة أو تصور مشروع جديد للهوية، وفي ظل هذا الصراع نجد أن فئة الشباب هي المستهدفة من قبل ثقافة العولمة، كونها الفئة الهشة والحلقة الضعيفة في المجتمع، فالشباب الجزائري يعيش بقلق تعددية الأنماط الثقافية المختلفة، نمط تقدمه العادات والتقاليد والقيم التقليدية من جهة، ونمط يفرضه المحيط الاجتماعي من جهة أخرى، وتزداد هذه الأزمة حدة وتوتر حين يواجه الشباب الاختيار بين بدائل عديدة، وتضعف سيطرة الآباء والمربون في توجيه أبنائهم، وفي مثل هذه الظروف يعيش الشباب في حالة اغتراب ولامبالاة، أو ما يسمى بـــ: اللامعيارية (Anomie) على حد تعبير دوركايم.

وتمثل فترة المراهقة مرحلة صراع الفرد مع نفسه ومع الآخرين، ولا يستقر الفرد إلا عندما يتجاوزها إلى مرحلة الرشد؛ ولذلك فإن أصعب ما يواجهه المراهق هو تطوير هوية ذاتية مستقرة فهو يعيش بين حالتين: ما يمثل وجهات نظره الخاصة، وما يمثل وجهات نظر الآخرين، إنه في حالة من التساؤل المستمر: أي وجهات النظر الصحيحة ؟، من أطيع ؟، إنها حالة صراع نفسي مستمر، يمكن أن تؤدي في النهاية إلى الاستقرار وتحقيق

الهوية، ويمكن أن تؤدي إلى عدم الاستقرار، وبالتالي تكون النتيجة عندئذ الضياع والوقوع في براثن الأمراض النفسية المختلفة.[2]

إن الشباب الجزائري اليوم مطالب بالاختيار بين الأصالة والتغريب، وبين القيم التقليدية والقيم الحديثة، وفي ظل هذا الجو المعقد تصبح عملية الاختيار صعبة ومعقدة هي الأخرى، حيث يجد هؤلاء الشباب أنفسهم أمام نماذج مختلفة ومتناقضة انطلاقاً من الأسرة، والمدرسة، والجامعة، والمحيط ككل، وصولاً إلى ما تبثه مختلف وسائل الإعلام التي أصبحت حكراً على الدول الغربية بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية التي تمتلك البرامج والمادة الإعلامية. فالعالم يعيش الآن قلقاً عاماً متعلقاً بالهوية، فهو يخشى توحيد الأشكال، ويخاف من تلاشي التمايزات، إذ أن هناك حركة عامة رامية إلى إزالة الحواجز بين المجتمعات بالعولمة مصحوبة باحتدام وتأجج الهويات الخاصة، سواء أكانت عقائدية أم قومية أم إثنية.[3]

وإذا كانت الهوية الثقافية تتضمن مكونات ثابتة وأخرى قابلة للتغيير، فإن الهوية الثقافية للشباب الجزائري اليوم غير واضحة المعالم، كون الثابت أصبح هو الآخر متغير، مما نتج عنه تشتت الهوية حيث يعاني الفرد من أزمة الهوية، وليس لديه تعهد لخطة ما من خطط الحياة، أو إرساء مبادئ عامة[4]، وعندما تتعرض الهوية الثقافية إلى تشتت يبدأ هاجس الخوف على الهوية.

وأمام هذه المتغيرات فإن الإشكالية التي تسعى هذه الدراسة لاستجلائها تتمثل في محاولة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1- ما المقصود بالهوية الثقافية؟، وماهي مكوناتها في المجتمع الجزائري ؟.

2- ما هي آثار العولمة على الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري اليوم ؟.

3- ما هي سبل وآليات التعامل مع العولمة بما يحفظ هوية ومستقبل الشباب الجزائري ؟.

ثانياً- أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كون موضوع العولمة وعلاقته بالهوية الثقافية من المواضيع المهمة والحديثة نسبياً، والتي تستحق لفت انتباه الباحثين والمفكرين، وخاصة عند ظهور ما يسمى بأزمة الهوية الثقافية لدى الشباب، وبالتالي يُعد الكشف عن ملامح الهوية الثقافية وترسيخها والحفاظ عليها أمراً لا بد منه لمواجهة تداعيات التحولات العالمية في ظل العولمة.

كما تنبع الأهمية المعرفية لهذا الموضوع من خلال محاولة إرساء إطار مفاهيمي ونظري لدراسة أزمة الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري، وتقديم مقترحات وتصورات من شأنها أن تساعد على تعزيز الهوية الثقافية، وبالتالي مواجهة العولمة الثقافية بمختلف أشكالها.

ثالثاً- أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة الحالية إلى محاولة وضع تصور واضح لمفهوم الهوية الثقافية وأهم مكوناتها في المجتمع الجزائري، مع توضيح الآثار السلبية للعولمة على الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري، وبالتالي تنمية الوعي بهذه الهوية وأهميتها وتجاوز التحديات التي تضعفها.

كما هدفت هذه الدراسة إلى محاولة التعرف على أهم سبل وآليات التعامل مع العولمة بما يحفظ هوية ومستقبل الشباب الجزائري الذي يعيش تحت وطأة العولمة التي نجحت في مسخ وخلخلة هويته الثقافية، وتفكيك قيمه ومعاييره وضوابطه الاجتماعية التي استمدها من الأسرة التقليدية المحافظة.

رابعاً- منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي موصولاً بالمنهج التحليلي، عن طريق جمع المعلومات من مصادرها واستقرائها وتحليلها، واستجلاء الملامح المختلفة لآثار العولمة على الهوية الثقافية، وتحليل مظاهر أزمة الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري، والخروج بمقترحات من شأنها أن تحد من هذه الأزمة.

خامساً- مفاهيم الدراسة:

1- مفهوم العولمة:

العولمة (Mondialisation) مشتقة من الفعل عولم على صيغة فوعل واستخدام هذا الاشتقاق يفيد أن الفعل يحتاج لوجود فاعل يفعل، أي أن العولمة تحتاج لمن يعممها على العالم.[5]

وهي تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل، أي جعل العالم واحداً، والحضارة واحدة، وهو ما يسمى بالكونية أو الكوكبة.

ومن الناحية الاصطلاحية ظهرت العديد من المفاهيم حول العولمة نظراً لارتباطها بالأحداث الكبرى التي عرفتها المجتمعات الإنسانية: سياسية، وتقنية، واقتصادية وثقافية...الخ. ومن هذه التعاريف نذكر على سبيل المثال أن العولمة نظام عالمي جديد يقوم على العقل الإلكتروني، والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود، دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم[6]، وهي أيضاً العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع" وهي أيضاً أيديولوجياً تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته.[7]

ومن هنا فالعولمة تعني نفي الآخر، وفرض نمط واحد للاستهلاك والسلوك، والعادات والتقاليد، وإزالة الفوارق الدينية والقومية والوطنية بين الشعوب، والانتقال بها من حالة التباين إلى حالة التجانس، أي تعميم نموذج الحضارة الغربية الأمريكية وأنماطها الفكرية والثقافية على العالم كله.

أما مفهوم العولمة ثقافياً فيعني أن ينتقل اهتمام الفرد من ثقافته المحلية إلى الثقافة العالمية دون أن يهمش هويته الوطنية...، كما أن العولمة الثقافية لم تبدأ في مرحلة التأسيس إلا في سنوات التسعينيات من القرن العشرين[8]، مع انتشار وسائل الإعلام والاتصال المختلفة.

ومن الناحية الأنثربولوجية فإن العولمة تعني أن هناك خصائص ثقافيـــــة ذات طابع عالمي تطورت نتيجـــة تعاون ثقافات كثيرة تمكنت من تطوير صياغة توفيقية، ولهذا يقول عبد الله عبد الدائم: "وغنى عن البيان أن مثل هذا التفاعل بين الثقافات العالمية ينبغي أن يؤدي في النهاية إلى تقارب عملي قوامه وضع مجموعة من الثوابت العالمية الثقافيـــة التي نبغي أن تعمل الثقافات جميعها على احترامها وتعميق جذورها. وتوليد مثل هذه الثوابت وقبولها أمر ممكن إذا هو تم عن طريق الحوار الحقيقي، وحل محل فرض ثوابت ثقافة معينة أو بلد معين على العالم كله، والادعاء بأنها هي وحدها الثوابت العالمية.[9]

2- مفهوم الأزمة:

الأزمة (Crisis) من الناحية اللغوية هي السنة المجدبة...الشدة والقحط، والمتأزم هو المتألم لأزمة الزمان[10]، إنها الوقت الذي تتزايد فيه القابلية للوقوع في مشكلة نفسية معينة، وترتبط كل أزمة بغيرها من الأزمات،

ويوجد كل منها على نحو أو آخر قبل الوصول إلى اللحظة الحاسمة لحلها.[11]

والمقصود بالأزمة في هذه الدراسة نقطة تحول في حياة الفرد، وتنشأ عن النضج الفسيولوجي، وعن المطالب الاجتماعية، التي على الشخص أن يستجيب لها في تلك المرحلة، وتتحدد المكونات المختلفة للشخصية نتيجة لطريقة معالجة هذه الأزمات، وليس المقصود بالأزمة كارثة تلحق بالفرد وتهدده بل نقطة تحول، أي أنها مصدر لنشوء قوة الفرد وتكامله، كما أنها مصدر لتوافقه.[12]

3- مفهوم أزمة الهوية:

أزمة الهوية (Identity Crisis) تعني الكفاح أو النضال الذي قد يفرض على المراهق وهو يحاول أن يحصل على إحساس أو شعور بالهوية متصف بالثقة والاطمئنان[13]، وهي تنشأ عندما يفشل الفرد في تحديد هويته، فيشعر بالتشتت وارتباك الدور وغموض الهدف، والانعزال عن الآخرين وضعف العلاقات الاجتماعية. أي أنها نتاجاً لفشل الفرد في تشكيل هوية خاصة، وبالتالي عدم القدرة على الاختيار بين البدائل وتحديد أهدافه المستقبلية، وهذا يؤدي إلى الشعور بالاغتراب.

4- مفهوم الهوية الثقافية:

قبل التطرق لمفهوم الهوية الثقافية (Cultural Identity) لابد أن نعرف معنى الهوية أولاً، حيث جاء مفهومها مثل معظم مفاهيم العلوم الإنسانية هلامياً وواسعاً يحتمل الكثير من المعاني والتفسيرات، وكثيراً ما يتم خلطه مع (الثقافة) التي هي في الحقيقة تشكل جزءاً من مفهوم الهوية وليس كله[14]، أي أن مسألة الهوية مرتبطة ارتباطاً كبيراً بالمسألة الثقافية.

ويعرف الجرجاني الهوية في كتابه (التعريفات) بأنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب[15]، فالهوية بناء يقوم به الإنسان في مراحل متعددة من حياته من خلال عمليات معقدة من التواصل على رأسها اللغة، فهي إحساس ووعي الفرد أو الجماعة بالذات.

ومن هنا فهوية الشيء هي ثوابته، التي تتجدد لا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة.[16]

أما الهوية الثقافية فهي القدر الثابت والجوهري والمشترك بين السمات والقسمات العامة، والتي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعاً يتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى[17]، وهي بذلك مجموع الخصائص التي تنفرد بها الشخصية الوطنية وتجعلها متميزة عن غيرها من الهويات الثقافية الأخرى.

ولابد أن نشير إلى أن التراكم التاريخي ضروري لصنع الهوية الثقافية لأنها في النهاية هي المستوى الناضج الذي بلغته المجموعات البشرية نتيجة تفاعل قرون طويلة بين أفرادها وبين الظروف الطبيعية والتاريخية التي مرت بها، ويرى الباحث جون توملسون (John Tomilson) أن الهوية الثقافية كانت نوعاً من الكنز الاجتماعي الذي تمتلكه الجماعات المحلية، ولكنه شيء هش يحتاج إلى الحماية والحفاظ عليه، بعد أن اكتسحت العولمة العالم، مثل الفيضان.[18]

وترى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن الهوية الثقافية هي النواة الحية للشخصية الفردية والجماعية، والعامل الذي يحدد السلوك ونوع القرارات والأفعال الأصيلة للفرد والجماعة، والعنصر المحرك الذي يسمح للأمة بمتابعة التطور والإبداع، مع الاحتفاظ بمكوناتها الثقافية الخاصة

وميزاتها الجماعية، التي تحددت بفعل التاريخ الطويل واللغة القومية والسيكولوجية المشتركة وطموح الغد.[19]

5- مفهوم الشباب:

يعتبر مفهوم الشباب (Youth) من المفاهيم الخلافية لاسيما في ميدان العلوم الاجتماعية، ونتيجة لهذا الاختلاف حول تحديد مفهوم الشباب، ظهر أكثر من اتجاه فيما يتعلق بتعريف مفهوم الشباب منها الاتجاه الزمني أو العمري، والاتجاه البيولوجي والنفسي والاجتماعي...الخ.[20]

وكل هذه الاتجاهات تركز على أن مرحلة الشباب تمتاز بعدة خصائص وقدرات وتغيرات بيولوجية وسلوكية واجتماعية، تقتضى من الشاب إيجاد تكيفات مناسبة لها، واعتماد صيغ ملائمة لمواجهة الأوضاع والمطالب الجديدة. وتبدأ مرحلة الشباب أو المراهقة (adolescence) كما تسمى في بعض الكتابات- بتخطي مرحلة بلوغ الحلم (puberty) أو اكتمال النضج الجنسي- بلوغ القدرة على التناسل وتيقظ الحاجة الجنسية، ويحدث ذلك عند سن الخامسة عشرة أو قبلها بقليل، وتغطي مرحلة الشباب مدة عشر سنوات تقريباً، فتنتهي في سن الخامسة والعشرين أو ما حولها.[21]

سادساً- مكونات الهوية الثقافية في المجتمع الجزائري:

لقد أعطى الميثاق الوطني سنة 1976 أهمية كبيرة للثقافة مبيناً الدور الذي تلعبه في تطوير الشخصية الوطنية والهوية الجماعية، وفي إقامة مجتمع متوازن لا يكون فيه المواطن مبتوراً عن أصوله ولا متروكاً على هامش التقدم. وإذا أقررنا من حيث المبدأ أن لكل مجتمع خصوصيته الثقافية التي تشكل هويته الذاتية ويسعى جاهداً للمحافظة عليها وصيانتها من الاندثار تحت وطأة وهيمنة الخصوصيات الثقافية للمجتمعات الأخرى، فإن للمجتمع

الجزائري خصوصية ثقافية قد تميزه عن باقي المجتمعات العربية الإسلامية، فالخصوصية الثقافية تعني أنها عناصر خاصة بمجموعة اجتماعية معينة.[22]

إن المتتبع للهوية الثقافية الجزائرية يجد أنها متعددة الأبعاد ومتشعبة الأطراف، يغلب عيها الطابع الفرنسي في بعض الأحيان، نتيجة للاستعمار الفرنسي الذي فرض هيمنته على المجتمع الجزائري طيلة 132 سنة، مما نتج عنه احتدام الصراع بين المعربين والمفرنسين، وبالتالي فإن أزمة الهوية الثقافية في المجتمع الجزائري تمتد جذورها إلى بداية الاحتلال الفرنسي، وهذا لا يعني أن المجتمع الجزائري لا يملك هوية ثقافية محددة، فعلى الرغم من التنوع الثقافي (القبائلية، والشاوية، والمزابية، والتارقية...) القائم في هذا المجتمع إلا أنه يسير في فلك وحدة ثقافية وطنية واحدة، ليست منغلقة ومعيقة للتحديث والتحول، بل هي واحدة من المكونات الأساسية للهوية الوطنية.

وعلى العموم فإنه يمكن حصر مكونات الهوية الثقافية في المجتمع الجزائري على النحو الآتي:

1- الدين الإسلامي:

يُعد الدين الإسلامي من أهم عناصر الهوية الثقافية في المجتمع الجزائري. حيث إن تشكل الهوية الجزائرية بهذا الشكل يعود إلى قرون خلت، وهي تلك التي تعلقت بظهور الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب، ولقد لعب الإسلام دوره في شمال إفريقيا كما لعبه في الجزيرة العربية، واعتنقه البربر، لا لأنه دين عادل فحسب، بل لأنه أداة تطور اقتصادي واجتماعي، فضلاً عن كونه داعياً للوحدة السياسية، حيث وبموجب ذلك سارع أهل الأرض إلى التخلي عن النظام القبلي، وتشكيل نظام سياسي.[23]

ويرى البعض أنه في الحروب تذوب الهويات متعددة العناصر، وتصبح الهوية الأكثر معنى بالنسبة للصراع هي السائدة، وغالباً ما تتحدد هذه الهوية دائماً بالدين[24]، ومن هنا فإن علاقة الدين بالهوية علاقة وطيدة، فهي موضوع دراسات وأبحاث عديدة في مختلف بلدان العالم.

وتستمد الهوية الثقافية الجزائرية مقوماتها من المكون الأول لها، وهو الإسلام الذي يجعل من الإنسان موضوعاً له، ويحدد للأمة فلسفتها الأساسية، ويجيب عن الأسئلة التي فرضت نفسها على الإنسان في كل مكان وزمان، فالإسلام له تأثير عميق في هويتنا الثقافية، وخاصة الجانب العقدي المتعلق بالتوحيد، وهو لا يعني ممارسة الشعائر الدينية فحسب، بل هو موقف من ثوابت كثيرة، منها ما يرتبط بالأسرة ومنها ما يرتبط بالمجتمع ككل.

ولا يمكن تصور وجود للهوية الثقافية العربية إلا بوجود الدين الإسلامي باعتباره سمة مميزة للمجتمعات العربية والإسلامية، وأداة المسلمين لمقاومة الاغتراب الثقافي، وبالتالي فأي هجوم على الإسلام هو بمثابة محاولة استلاب للهوية الثقافية والحضارية للأمة العربية.[25]

2- اللغة العربية:

اللغة هي التي تلي الدين، كعامل مميز لشعب ثقافة ما عن شعب ثقافة أخرى[26]، فهي ليست مجرد أداة تعبير ووسيلة تخاطب، وإنما هي وعاء الفكر، ولغة القرآن الكريم. وكما صنعت الأمة ثقافتها، صنعتها ثقافتها، وحافظت على هويتها عبر أداتها التعبيرية لغة القرآن، فلا تكاد تملك لغة من اللغات ما تملكه اللغة العربية من تراث فكري مكتوب، لا في الكم، ولا في النوع، ولا في النسق اللغوي المتماسك.[27]

وتعتبر اللغة العربية اللغة الرسمية للمجتمع الجزائري كما ورد ذلك في الدستور، وهي من ثوابت الأمة والمكون الرئيس في للهوية الثقافية، ووعاء يحوي قيم ومعتقدات وخصوصيات المجتمع الجزائري، وبالتالي فالحفاظ عليها يعني ضمان بقاء واستمرارية الهوية الثقافية الجزائرية.

ولقد أشارت منظمة اليونسكو على لسان مديرها إلى أهمية الحفاظ على اللغات الخاصة بالمجتمعات حيث قال: "إن اللغات هي من المقومات الجوهرية لهوية الأفراد والجماعات، وعنصر أساسي في تعايشهم السلمي، كما أنها عامل استراتيجي للتقدم نحو التنمية المستدامة، وللربط السلس بين القضايا العالمية والقضايا المحلية...لذلك تدعو اليونسكو الحكومات وهيئات الأمم المتحدة ومنظمات المجتمع المدني والمؤسسات التعليمية والجمعيات المهنية وجميع الجهات المعنية الأخرى إلى مضاعفة أنشطتها الرامية إلى ضمان احترام وتعزيز وحماية جميع اللغات، ولا سيما اللغات المهددة، وذلك في جميع مجالات الحياة الفردية والجماعية".[28]

واللغة العربية جوهر الهوية الثقافية، فهي ثرية في محتواها ومفرداتها، حافظت على استمرارية الأمة الجزائرية جيلاً بعد جيل، وإتقانها يساعد على انسجام أفراد المجتمع والاعتزاز بهويتهم، لأن أبناء اللغة الواحدة يشكلون قوالب فكرية وثقافية مشتركة. إذن فالعلاقة بين اللغة وبين الهوية الثقافية علاقة قوية لا تنفصم، ولهذا كان من أهم مقاييس رقي الأمم مقدار عنايتها بلغتها تعليماً ونشراً وتيسيراً لصعوباتها.[29]

3- التاريخ والتراث الثقافي:

التاريخ هو السجل الحضاري الثابت لماضي الأمة، ويشـــمل إنجازاتهـــا المعنوية والمادية، والرصيد الثقافي من عادات وتقاليد وقيم، وهو مكون هام

من مكونات الهوية، فالفرد في بنائه لشخصيته يعود إلى آثار أبائه وأجـــداده، ولا يمكن لأية أمة أن تشعر بوجودها إلا عن طريق تاريخها الذي يمثل أحد أركان هويتها. وهو الذي يميز الجماعات البشرية بعضها عن بعض، فكـــل الذين يشتركون في ماض واحد يعتزون ويفخرون بمآثره يكونون أبناء أمـــة واحدة، فالتاريخ المشترك عنصر مهم من عناصر المحافظة علـــى الهويـــة الثقافية.[30]

وتستوعب الجزائر تراثاً ثقافياً ضخماً يمتد عبر فترات زمنيـــة طويلـــة، وعصور تاريخية متعددة وظروف ومعطيات كثيرة ومتشبعة عـــرف فيهـــا المجتمع الجزائري عدة وقائع وأحداث تميزت بالقوة والضـــعف، والوحـــدة والتشتت، والنهضة والركود، وكان هذا التراث الذي يحمل الطـــابع العـــام لشخصية الأمة الجزائرية التي أنتجته غير متناسق ولا يسير علـــى وتيـــرة واحدة، لأنه يعبر عن التناقضات التي عاشها هذا المجتمع، والتي نتج عنها ما يسمى بصراع الأجيال أو الثغرة الجيلية.

إن الحفاظ على مضمون التراث الجزائري العربي الإسلامي غاية في الأهمية، ضد الذين يحاولون طمس تاريخ الأمة أو تشويهه لإخفاء هويتها أو تهميشها. ولعل هذا التاريخ المجيد هو الذي يكمن وراء محاولات الغرب طمس معالم الهوية العربية والإسلامية، ومن الأهمية أن يتوفر للعرب وعي علمي بتاريخ مجتمعهم العربي وتطوره وديناميا ته، وقوانينه النوعية، مما يعينهم على تأصيل هويتهم، ومعرفة الملابسات التاريخية لحدودها.[31]

سابعاً- أزمة الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري في ظل العولمة:

لقد لعبت التقنيات الحديثة وأنظمة المعلومات وشبكاتها في صناعة ثقافة العولمة، تلك الثقافة التي تسربت إلى كل أرجاء العالم وأثرت فيه. ويعد البعد

الثقافي للعولمة من أخطر أبعادها، فهي تعني إشاعة قيم ومبادئ ومعايير ثقافة واحدة، وإحلالها محل الثقافة الأخرى، مما يعني تلاشي القيم والثقافات القومية، وإحلال القيم الثقافية للبلاد الأكثر تقدماً محلها، وخاصة أمريكا وأوروبا، الأمر الذي قد ينعكس سلباً على الهوية الثقافية للشباب العربي والجزائري بالخصوص.(32)

يواجه الشباب الجزائري اليوم تحديات عديدة على رأسها العولمة الثقافية التي عملت على تهميش وإلغاء المحتوى الثقافي وإقصاء القيم الإنسانية، وفرض كل أشكال التمييع الثقافي، مما جعل الشباب يعيش حالة عدم استقرار وضياع وقلق، وعدم وضوح في الرؤية. غير أن أخطر جوانب المراهقة أو بداية الشباب هي ما يعرف باسم أزمة الهوية التي تنشأ من عدم قدرة الشاب على فهم ذاته "الجديدة" وتقبلها، والتعامل معها، وهي أزمة يتوقف على حلها استمرار نضوج الشخص بشكل سوي.(33)

ولعل المتأمل في تمظهرات أزمة الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري في ظل العولمة، تتجلى له جملة من الأعراض والحالات التي تدل على وجود أزمة حقيقية يمكن أن نجملها فيمايلي:

1- على المستوى القيمي:

ويبدو في انهيار القيم التقليدية لتحل محلها القيم الدخيلة المستوردة من الغرب، وظهور ما يسمى بصراع القيم الذي يعني تضاد أو تناقض بين اتجاهين أساسيين من اتجاهات القيم السائدة في المجتمع، ويُعرف كل من مرعي وبلقيس صراع القيم بأنه: "إحدى العمليات الاجتماعية التي تحدث عند تعرض الأفراد لموقفين متعارضين ومتناقضين، ويتطلب كل منهما سلوكاً مغايراً، ويؤدي إلى وجود نمطين من الدوافع المتناقضة والمتعارضة يؤدي

إلى إعاقة الفرد في التوافق، ولا يلغي أي من الدافعين المتصارعين الآخـــر، ولكنهما يعطيان الفرصة لنشوء توتر متزايد وسلوك غير ثابت".[34]

وتعتبر فترة الشباب أكثر مراحل العمر تأثراً بالعولمة، التي تطرح اختيارات عديدة فيما يتعلق بالالتزام بالحاضر والمستقبل، وتعمل على وضع الشباب في موقع يشعرهم بالاغتراب والقلق والإحباط، نتيجة لتغير القيم والمعايير، وغموض الأدوار، والتحولات التي طرأت على سلطة الآباء بعد أن أصبحت خبراتهم غير ملائمة للمواقف الجديدة، حيث "اعتبر بعض الباحثين أن وجود الثغرة الجيلية التي تفصل بين الشباب والآباء هي المسؤولة عن وجود بعض المشكلات- كمشكلة الصراع القيمي- فالشباب بحكم المرحلة العمرية وحماسة طاقته الفياضة هو جيل ثائر ويرى أنه غير جيل الآباء والأمهات، وأن هناك ثغرة جيلية تفصل بينهما".[35]

والملاحظ أن الشباب الجزائري اليوم يعيش عصراً تتضارب فيه القيم، بين ما هو تقليدي، وبين ما هو معاصر، يتجاذبه الماضي والمستقبل، والشرق والغرب في آن واحد، ويصعب فيه الإجماع على معايير سلوكية موحدة، حيث يقول علي وطفة: "وينبع ذلك الصراع من وجود نظامين إدراكيين لحضارتين مختلفتين هما: حضارة الكتابة، وحضارة الشاشات الضوئية، إن أزمة الشباب وأزمة القيم التي يعيشونها ناجمة عن عدم تكيف نمط الإدراك الضوئي مع نمط الإدراك الخاص بالكتابة والمدرسة".[36]

وفي خضم هذه الأزمة القيمية التي يعيشها الشباب الجزائري، فإن مجتمعنا لا يزال يشهد صراعاً، يضعف أحياناً ويشتد أحياناً أخرى بين دعاة الانفتاح على الغرب، وبين دعاة الرجوع إلى الذات والماضي والتراث، ولاشك أن تعددية النظم القيمية المتناقضة، وتنوع أساليب الحياة يجعل من العسير الحديث عن وحدة الهوية وتماسكها، ويولد حالات من الصراع

وإحساس بالضياع والتفكك في مستوى العلاقة مع الذات داخل فئة الشباب، بفعل تعدد الأنظمة الإدراكية وصعوبة التكيف معها، وبالتالي تنمو حالات من فقدان الإحساس بالانتماء للذات الحضارية، يتولد عنها تعمق في أزمة الهوية لدى جيل الشباب.

ومن هنا ترى الشباب على حد تعبير الباحث وليد طافش كأنه مطارد هارب من قسورة، كمن أصابه مس، لا يدري ماذا جرى له، ولا يشعر بالسعادة والاطمئنان، يفقد شيئاً ولا يجهد نفسه في البحث عنه، فيهيم على وجهه محاولاً الفرار من قلقه بشتى الوسائل، فيتخذ مذاهب وأفكار سوداء.[37]

إن شيوع حالة التناقض والازدواجية في قيم الشباب الجزائري سببه التدفق الهائل للمعلومات عبر وسائل الإعلام المختلفة (خاصة الانترنيت) بلا قيود، والتي نقلت معها قيماً وأنماطاً وأخلاقيات جديدة، غريبة عن قيمنا، واستطاعت تكوين اتجاهات وصياغة قيم سلبية لدى الشباب من خلال. وخاصة بعض المذاهب والاتجاهات والأعمال الفلسفية والفنية التي تفد إلينا من الخارج حاملة في طياتها بذور الاستهتار بالقيم وبالمقررات التي يقوم عليها الإيمان والتدين، والشباب بحكم طبيعته الميالة إلى الجديد المنجذبة إلى كل ما يثير، يقبل على هذه الأعمال في شغف ويتأثر بإيحاءاتها الضارة ما لم يكن محصناً من قبل بدروع الاعتقاد والمعرفة الدينية الراسخة.[38]

2- على المستوى الثقافي:

تعتبر البنية الثقافية عامل مؤثر في تشكيل وصياغة الهوية، وذلك من خلال ما توفره هذه البنية من تعدد الخبرات والنماذج، التي تتيح للفرد الفرصة لتحقيق هوية متكاملة، ونظراً لأن الثقافة عالم مفتوح - خاصة في ظل العولمة - فإنها قد تؤثر سلباً في تشكيل الهوية.

ويذهب عدد من الباحثين والمفكرين إلى أن العولمة الثقافية فعل يقلص الكون كله إلى هوية واحدة متجانسة اقتصادياً واجتماعياً وحضارياً، فهي تعمل على بناء ثقافة واحدة تسعى لتذويب الحدود والحواجز الثقافية والفكرية بين الأمم، فقوة دفع الثقافة الوافدة تفقد الدول الصغيرة ثقافتها، وتبدأ في التخلي التدريجي عن خصائصها الثقافية لصالح الثقافة الوافدة، وبالتالي تؤدي إلى الانقسام والتفكك والتصدع الثقافي أمام ثقافة العولمة، والتي تقوم على الغزو الثقافي الذي يهدف إلى إخضاع الشعوب وتهديم ثقافتها، ومن ثم تحقيق التبعية للثقافة الجديدة المهيمنة القائمة على انتشار المعلومات وسهولة حركتها.

ولعل من أبرز مظاهر أزمة الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري في ظل العولمة التبعية الثقافية، وهي ليست حديثة، بل تمتد جذورها إلى الاستعمار الفرنسي الذي حاول القضاء على رموز الثقافة الجزائرية، وفرض نمط الثقافة الفرنسية، فكانت النتيجة الوقوع في التبعية الثقافية، وأصبحت الثقافة الجزائرية غائبة عن واقع مجتمعها، ولن تتخلص هذه الثقافة في عصر العولمة من التبعية ما لم تتخلص من التقليد الأعمى وتبني النموذج الغربي. وثقافتنا وهويتنا قابلة للنمو والاعتناء أكثر من الإذابة والتبعية، لذا نؤمن بالتفاعل والتبادل الذي يتيح لثقافتنا فرصة النمو والانتشار لا الإذابة والتبعية.[39]

ونظراً لتراجع مستوى التنشئة الاجتماعية، أصبح جيل الشباب في المجتمع الجزائري يعيش حالة ضياع وقلق ثقافي كبير. وتتضمن هذه التنشئة الاجتماعية تنمية صورة الذات لدى الفرد، وإكسابه عناصر الهوية الاجتماعية، وتوعيته بها، وإدماجه في محيطه الثقافي والاجتماعي وإعداده

للأدوار الاجتماعية والمهنية المستقبلية ليصبح عضو فعال ومواطن صالح في المجتمع الذي ينتمي إليه.[40]

ولقد بينت إحدى الدراسات الميدانية التي أجريت على الشباب الجزائري أن ما يقلقهم أكثر ليس الجوانب المادية، وإنما هي الجوانب المعنوية من عادات وتقاليد بنسبة 39.8 %، وقوانين المجتمع التي تنعكس في الرشوة والبيروقراطية بنسبة 37.6 %، بينما الأسرة لا تشكل عائقا كبيراً أمام الشباب في سبيل تحقيق نجاحه الاجتماعي بنسبة 17.8 %[41]، فالأسرة في تعاملها مع أفرادها أصبحت غير متشددة، وهذا بسب الإرشاد والتوجيه الأسري، إذ تنازلت الأسرة عن الكثير من وظائفها التي كانت سائدة في الماضي، مما نتج عنه آثار سلبية من بينها هيمنة نموذج الثقافة الغربية على سلوكيات الشباب.

ومن هنا فإن الشباب الجزائري أصبح عرضة لبعض مظاهر التلوث الثقافي في عصر التقدم العلمي والتكنولوجي الذي فرضته العولمة (وسائل الإعلام والاتصال، والفضائيات المتنوعة، ومواقع الانترنيت)، حيث انبهر الشباب بنمط الثقافة الغربية ومنجزاتها، وشاعت الأفكار الهدامة كاعتبار التزام الفتاة بالحجاب تزمتاً لا ينسجم مع متطلبات العصر، وتبني فكرة الاختلاط بين الذكور والإناث، وشيوع فكرة الحب وبناء علاقات غير شرعية مع الجنس الأخر قبل الزواج، ومشاهدة الأفلام الإباحية، وارتداء الجينز الممزق وقصة الشعر...الخ من المظاهر التي تقدس نموذج الثقافة الغربية.

فالشباب الذي يعلق علم أمريكا في عنقه وفي سيارته، وحينما ترى عدداً لا يُستهان به من شبابنا يقومون بلف رؤوسهم أو تزيين سياراتهم بأعلام دول أجنبية... كبرى الأمر الذي يمثل اعتداء على أحد رموز هويتنا وهو العلم والعجيب في الأمر هنا أن ما تستخدمه هذه الفئة من أعلام أجنبية يكون لدول

ترفض هويتنا، وتحقر من شأننا، وتعادي مصالحنا القومية على المستوى الدولي.[42]

وتتضح ملامح أزمة الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري التقليد الأعمى للغرب، والناتج عن الضعف وقلة والوعي، ولهذا نجد ابن خلدون في مقدمته يُفرد الفصل الثالث والعشرون من الباب الثاني في الحديث على أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده[43]، حيث أصبح الشباب الجزائري منبهر بالتقدم العلمي والتقني، ولعب دور المتلقي له وليس المنتج، وهذا شكل من أشكال الانقياد الأعمى للغرب، ومظهر من مظاهر العولمة التي تهدف إلى ترويج ثقافة الاستهلاك.

3- على المستوى الديني والعقائدي:

يعتبر الدين الإسلامي من محددات الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري. حيث تتصف العائلة الجزائرية التقليدية بالنظام الأبوي خلال الاستعمار الفرنسي، وعليه فقد شهد المجتمع الجزائري حالة التداخل الثقافي بين نمطين من الثقافة، نمط المجتمع العربي الإسلامي الذي ينتشر في ربوع الوطن، ونمط متحضر ومتقدم ذو عادات وتقاليد مختلفة، مع الغزو الثقافي المتمثل في الجانب اللغوي والتربوي والحضاري الذي يواجه هذا المجتمع المستعمر، مما يقودنا إلى القول أن الثراء الثقافي والحضاري الذي تزخر به الجزائر والمشتمل على طبوع مختلفة ومتنوعة المصادر، هو بمثابة فسيفساء ثقافية واجتماعية.[44]

لقد حاول الاستعمار الفرنسي استئصال الشعب الجزائري من هويته العربية الإسلامية، حيث يذهب بن أشنهو إلى القول بأن الشعب الجزائري كان بمثابة مشروع للمستعمر، الذي كان يرمي إلى تمزيق العلاقات العائلية

الإسلامية المتمسكة داخل الجماعة والملكية الجماعية والدين، لأجل إدخال وإدماج المواطن الجزائري داخل المجتمع الغربي...[45]، وهذا يدل على أن الإسلام في الجزائر كان مستهدف من طرف الاستعمار قبل ظهور ما يسمى بالعولمة.

والتاريخ يؤكد أن استنهاض الشعور الديني هو الطريق الرئيس للأمة، والخطاب الديني جزء من الهوية والتكوين الروحي والفكري والنفسي والاجتماعي للمجتمع، ومن غير اللائق إسقاطه بشكل فج ومباشر، فقد أثبتت بعض الدراسات أن الطفل الذي ينشأ في بيت يُتلى فيه القرآن، وتؤدي شعائر الدين، وتسير فيه الحياة على نمط من الفضيلة والحياة والاحتشام، يبدأ حياته محصناً من كثير الأمراض السلوكية والفكرية، ويتميز في مرحلة شبابه بمجاهدة النفس وعدم الاستسلام لشهواتها ونوازعها الضارة[46]، كما كشفت دراسة الشحات بعنوان: "الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية"، أن أفراد عينة الدراسة وجدوا صعوبة في الملائمة بين مظاهر الحياة العصرية من جهة، وبين تعاليم الدين من جهة أخرى، كما أن الكثير منهم يقعون في منازعات مع الغير بسبب آرائهم الدينية.[47]

ومن هنا يتضح أن الدين الإسلامي عنصر فعال في تكوين شخصية الفرد وبناء هوية الجماعة، إلا أنه تعرض هو الآخر إلى محاولات طمس من طرف العولمة. هذا البعد العولمي الوضعي للدين والعقيدة يمس بالوجه الثقافي الاجتماعي وحتى السياسي للشعوب، بوجود دول تدين بالإسلام الذي هو ثابت ومبدأ أساسي في الدولة، وهناك من الدول تأخذ بالشريعة الإسلامية كمصدر رسمي للدستور والقوانين الأخرى، وهذا ما يتنافى وقوانين وأهداف العولمة الوضعية، التي تهدف إلى مسخ الشعوب من خصوصية الدين، وكل

من يطبق الدين ويضفيه على القانون وحتى في الأخلاق والعبادات والمعاملات أصبح يطلق عليه في حياة العولمة بأنه "رجعي" متخلف.[48]

لقد تكونت لدى الأجيال المعاصرة الكثير من الأفكار والمفاهيم الدينية الهدامة كشعار "فصل الدين عن الدولة"، و"الدين أفيون الشعوب" و"الدين ضد العلم ". ففي حين أن هذا القرن هو قرن الهوية، غير أنه أيضاً، قرن الهوية الدينية غير "المكتملة". حيث نتحدث ها هنا عن هوية بها فجوات، وليست هوية محكمة عن شباب لا يرى غضاضة في تعريف نفسه من خلال مكوّن صلب وهو الدين، وفي الوقت نفسه لديه القابلية لأن يقوم ببساطة، بخرق هذا المكوّن عبر فن الإقبال على الحياة ولذائذها[49]، وغيرها من الأفكار الغربية المنحلة، كالاحتفال بمناسبات الكريسماس وغيرها من الاحتفالات التي حلت مكان الاحتفالات الدينية، التي أصبحت بدورها مناسبات استهلاكية، وذلك بتفريغها من القيم والغايات الإيمانية إلى قيم السوق الاستهلاكية.

وتبدو ملامح أزمة الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري في ضعف وازعه الديني والأخلاقي والعقائدي، نتيجة ضعف التدين، وانتشار الكحول والمخدرات، والجريمة المنظمة، واستخدام الشباب لألفاظ وجمل جنسية مثيرة للشهوات ومحركة للغرائز الجنسية، لا دينية تمس المشاعر والمقدسات والأخلاق الإسلامية، وتروج للثقافة الغربية التي تقوم على الإباحية والحرية الفوضوية في مجال علاقات بين الرجل والمرأة.

وقد جاءت العولمة بمفاهيـــم علمانية لا دينية رسختها في ذهن الشباب، وشككتهم في معتقداتهم، وطمست مقدساتهم، وأثارت الشبه والشكوك حول النظم والتشريعات الإسلامية وخاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين المرأة والرجل وقضايا المرأة المسلمة، وتطالب الحكومات والمجالس البرلمانية بإصدار قوانين وفق مواثيق الأمم المتحدة المتعلقة بحقوق الإنسان بعيداً عن الشريعة

الإسلامية، والهوية الثقافية المهددة هنا هي في الأساس دين الأمة وعقيدتها، وحماية الهوية معناها في الأساس الدفاع عن الدين.

4- على المستوى اللغوي:

إن تنوع اللغات واللهجات ثروة بشرية وجب الحفاظ عليها، واللغة العربية واحدة من هذه اللغات التي حققت انتشاراً واسعاً كونها لغة القرآن الكريم عبر مراحل الزمن المتعاقبة، وأداة وصل حقيقية بين الإنسان العربي المعاصر وبين تراث أمته عبر القرون الماضية، ومن مظاهر عالميتها تأثيرها على عدد من لغات شعوب العالم، فاللغة العربية هـــي هويتنا وشخصيتنا القومية، لغة تراثنا وعروبتنا وديننا الإسلامي.

ومن مظاهر تأثر اللغة العربية بالعولمة انحسار استعمالها في البلدان الإسلامية، وهبوط نسبة إجادتها فيها بشكل عام، بسبب الاتجاه اللغوي نحو الثقافة الغربية الإنجليزية الأمريكية أو الفرنسية، كما تراجع استعمال اللغة العربية في الاتصالات العالمية وفي شتى العلوم، وفي المقابل زادت أهمية اللغة الإنجليزية باعتبارها اللغة الرسمية للعولمة.

ووصل الغزو الثقافي إلى حد إهمال اللغة العربية في الكليات العملية وبالتحديد الطب والصيدلة والهندسة، حيث يجري التدريس فيها باللغة الإنجليزية، كما أن(88 %) من معطيات الإنترنيت باللغة الإنجليزية، و(9 %) بالألمانية، و(2%) بالفرنسية، و(1%) يوزع على باقي اللغات.[50] بالإضافة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك تكنولوجيا المعومات والاتصال، فحوالي 65% من مجموع الاتصالات المعالجة إليكترونياً تخرج منها، وتحكمه اللغة التي تتحدث بها، فقد أصبحت اللغة الإنجليزية هي لغة الاتصالات العالمية الآن، وأصبح تعلمها ضرورة لمواكبة العصر[51]، فهي

اللغة العالمية التي سيطرت على جميع اللغات مع الهيمنة الاقتصادية والإعلامية الأمريكية، ومع انتشار شبكة الإنترنت بهذه اللغة أدى إلى استخدام كلمات وعبارات انجليزية تعبر عن الثقافة الأمريكية والقيم الاستهلاكية مثل: هلو، هاي،...الخ، مما أدى إلى إهمال اللغة العربية بين الشباب وعدم إتقانها.

لقد تركز جل اهتمام الشباب الجزائري اليوم على الاستخدام المفرط والعشوائي للغات غير اللغة الأم كوسيلة للتخاطب والتواصل مع الآخرين، وعلى رأسها اللغة الفرنسية، حيث أصبح الشباب الجزائري يميل إلى استخدامها أكثر فأكثر، خاصة عند التخاطب مع الأقران والأصدقاء أو مع رؤساء العمل، وأضحى هذا الفعل ينم عن مستوى الشباب باللغة العربية الفصحى، بل إن هذا الأمر أصبح مدعاة للضحك والسخرية ومؤشر عن تخلف وتدني مستوى من يتحدث بها، ويندرج هنا تحدي آخر للغة العربية إزاء اللغة الإنجليزية، بعد الانتشار الكبير للشركات المتعددة الجنسيات بالجزائر.[52]

وقد صار الشباب الجزائري وخاصة في الجامعات يتفاخر بتناقل الألفاظ والمصطلحات باللغات الأجنبية، وأصبحت أسماء المحالات التجارية تكتب باللغات الأجنبية، وغيرها من السلوكيات التي تنبئ بمحاولة تذويب اللغة العربية والقضاء عليها في ظل الانفتاح الإعلامي والثورة الهائلة في علم الاتصالات، وبالتالي فعولمة اللغة لا تقل خطراً عن عولمة الثقافة والاقتصاد.

إن إهمال اللغة العربية كأحد مقومات الهوية الثقافية يجعلنا نفكر بعقول غيرنا، ونتكلم بلسان غيرنا، الأمر الذي يفقدنا هويتنا الثقافية العربية ويؤكد تبعتينا للغرب، وقد أشار العقاد إلى ذلك بقوله: "الحملة على لغتنا الفصحى حملة على كل شيء يعنينا، وعلى كل تقليد من التقاليد الاجتماعية والدينية،

وعلى اللسان والفكر والضمير في ضربة واحدة؛ لأن زوال اللغة في أكثر الأمم يبقيها بجميع مقوماتها غير ألفاظها، ولكن زوال اللغة العربية لا يبقي للعربي المسلم قواماً يميزه في سائر الأمم، ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم، فلا تبقي له باقية.(53)

ثامناً- آليات الحفاظ على الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري:

إن عصر العولمة الذي يجسد ثورة الاتصالات وتدفق المعلومات، وسيادة ثقافة الصورة عمل على تهديد خصوصيات الشباب الثقافية، وأضعف دور مؤسسات الدولة في صياغة وغرس الهوية الثقافية في نفوس الشباب الجزائري، ومادامت العولمة مشروعاً كونياً للمستقبل، فإن الجيل الجديد هو أكثر الأجيال عرضة لمعطياتها وآثارها، فالكومبيوتر، وشبكات المعلومات والاتصالات المعقدة أصبحت في متناول الشباب، فضلاً عن أنماط المعيشة والسلوك التي تطرحها العولمة من مأكل ومشرب وعادات ثقافية سيئة، ولهذا يُعد البعد الثقافي للعولمة من أخطر أبعادها، ومن أجل الحفاظ على الهوية الثقافية للشباب الجزائري من تهديدات العولمة، هناك عدة آليات وسبل وجب إتباعها لإخراج الشباب من دائرة الصراع والأزمة والهيمنة الثقافية التي يعيشها، ومن هذه الآليات على سبيل المثال لا الحصر نذكر:

1- إن تفاقم الشعور بالاغتراب لدى الشباب، ووقوعهم في صراع بين ثقافتين متعارضتين في وقت واحد، وإحساسهم بالدونية والتبعية وضعف الولاء والانتماء، راجع إلى جهلهم بالتاريخ والحضارة الإسلامية، ومن هنا وجب على المجتمع الجزائري بأفراده ومؤسساته عرض الجانب المشرق للحضارة العربية الإسلامية للشباب، بدلاً من التركيز على عرض هذه الحضارة في شكل حروب وصراعات وخلافات، فلابد من الاهتمام بعصور

السلم والازدهار والرقي العلمي والحضاري والتطورات الاجتماعية التي أحدثها الإسلام، والحديث عن تأثير كبار المفكرين والعلماء المسلمين ممن أثروا الحياة الفكرية بأعمالهم.

2- ضرورة التخلص من التبعية الثقافية والتقليد الأعمى للغرب، حيث رفض الإسلام تقليد الكفار والتشبه بهم، وخاصة في الأعياد والمناسبات الدينية، يقول الله عز وجل: ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين)) سورة المائدة: 51، ويقول أيضاً: ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق)) سورة الممتحنة: 1، وعن سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟، قال: فمن ؟) رواه البخاري برقم 3269، ومسلم برقم 2669، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة، وعليه ينبغي توعية الشباب بأخطار التقليد الأعمى وبيان عيوبه وآثاره السلبية وفي المقابل التأكيد على الاقتداء بالنماذج السلوكية السوية، ولنا في رسول لله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة.

3- إن الحفاظ على الهوية الثقافية للشباب ليست مسؤولية المؤسسات الاجتماعية التربوية أو الثقافية، أو الدينية أو الإعلامية وحدها، بل مسؤولية الجميع، والشباب أنفسهم فهم بحاجة إلى تجديد ثقافتهم إعلامياً وإيديولوجياً وتقنياً، ودخول عصر العلم والتقنية بالذوات الفاعلة المستقلة، لمواكبة عصر العولمة، وبالتالي التصدي لها، ذلك أن محاولة إثبات الذات، لا يكون من خلال الانغلاق ورفض الحوار مع الآخر، لاسيما في ظل حتمية التطور التقني والثورة المعلوماتية، بل يكون بتوعية الشباب بقيم وثقافة المجتمع،

ودعوتهم للتمسك بهويتهم وبلغتهم والمحافظة عليها كونها وعاء الثقافة وجوهر هويتها.

4- تنمية اعتزاز الشباب في مختلف المراحل التعليمية باللغة العربية، ودعم ثقتهم في قدرتها على استيعاب العلوم المختلفة، والعمل على تعليم العربية للناطقين بغيرها، وتعليم الجاليات العربية في المهجر، لإبراز الوجه المشرق للهوية الثقافة العربية، وتزويد شبكة الانترنيت بقواعد بيانات ونظم معلومات تمكن مستخدمي الانترنيت من البحث والتقصي باللغة العربية، كما يجب نشر اللغة العربية الفصحى وكتابتها، واستعمالها في جميع وسائل الإعلام، وإلغاء الثنائية بين اللغة العربية واللهجات العامية في المجالات السياسية والدينية والثقافية والعلمية، وكذلك بين اللغة العربية واللغات الأجنبية، كما يجب أن تكون جميع المنشورات والوثائق الإدارية ولافتات المحلات التجارية، وأسماء البرامج الإذاعية والتلفزيونية باللغة العربية.

5- إن شريحة الشباب هم أكثر تأثر بالرسائل الإعلامية بحكم تعلمهم لغات أجنبية، وقدرتهم على التعامل مع مختلف وسائل الإعلام، ولهذا وجب التصدي لهذه الوسائل التي تروج لثقافة العولمة، وذلك بالإكثار من المواقع الالكترونية التي تهدف إلى توعية الشباب بمخاطر الانجرار وراء ثقافة العولمة، كما يجب على القنوات الفضائية العربية أن تأخذ في الاعتبار تقديم برامج تعبر عن واقع وهموم الشباب العربي، وتشخيص مشكلاته وحلها، والاهتمام باحتياجاتهم ورغباتهم بشكل لا يخرج عن إطار القيم والعادات والتقاليد، ومراقبة الشباب أثناء دخولهم مواقع الانترنيت.

وفي الحقيقة أن آليات الحفاظ على هوية الشباب العربي بصفة عامة، والشباب الجزائري بصفة خاصة كثيرة، ولا يتسع المقام للحديث عنها، وقد

ذكرنا ما تيسر منها من أجل لفت النظر إلى أهمية الحفاظ عليها، واتخاذ المزيد من الإجراءات التي تساعد الشباب على مواجهة تحديات العولمة.

خاتمة:

من خلال ما سبق فإن الحديث عن أزمة الهوية الثقافية للشباب الجزائري في ظل العولمة حديث متشعب ومعقد، لا يمكن الخوض فيه بمعزل عن السياق الاجتماعي والثقافي والسياسي للجزائر، فالشباب جزء لا يتجزأ من التركيبة الاجتماعية لأي مجتمع، وبالتالي فإن الحديث عن هويته يعني الحديث عن هوية المجتمع ككل، فنحن بحاجة إلى إستراتيجية شاملة تهدف في مجملها إلى مواجهة سلبيات وآثار العولمة في بعدها الثقافي على الشباب، وبالرغم من أن العولمة تحمل في طياتها كثيراً من الإنجازات التكنولوجية العلمية والثقافية، فإن اكتساب الشباب للمهارات الجديدة أمر ضرورياً في التعامل مع التحولات التي أحدثتها العولمة، والتي يمكن الاستفادة منها.

*** المراجع والهوامش:**

(1) Boukhobza M'Hamed, **évolution ou rupture ?**, éd. Bouchene, Alger, 1991, p 212.

(2) محمد سليمان بني خالد، **الهوية الذاتية: دراسة مقارنة بين الطلبة المراهقين ذوي (التحصيل المرتفع/ المتدن) في ضوء نظرية اريكسون النفسية**، مجلة جامعة الأزهر، سلسلة العلوم الإنسانية، مجلد: 9، عدد: 1، غزة، فلسطين، 2007، ص ص 335-336.

(3) رضوان جودت زيادة، **أزمة الهوية بين السياسات القومية وتحول دور الدولة**، مجلة إسلامية المعرفة، العدد: 40، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، جامعة بيروت الإسلامية، 2005، ص 185.

(4) بشير معمرية، إبراهيم ماحي، **أبعاد السلوك العدواني وعلاقتها بأزمة الهوية لدى الشباب الجامعي**، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد: 4، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 2004، ص 18.

(5) أحمد صدقي الدجاني، **مفهوم العولمة وقراءة تاريخية للظاهرة** ، صحيفة القدس، 1998/02/06، ص13.

(6) محمد سعيد أبو زعرور، **العولمة**، دار البيارق، عمان، الأردن، 1998، ص 14.

(7) محمد عابد الجابري، **العولمة والهوية الثقافية- عشر أطروحات-**، مجلة المستقبل العربي، العدد: 228، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1998، ص 137.

(8) زيد أحمد، محمد علام اعتماد، **التغير الاجتماعي**، ط 2، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2000، ص 272.

(9) عبد الله عبد الدائم، **العرب والعالم بين صدام الثقافات وحوار الثقافات**، مجلة المستقبل العربي، العدد: 203، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1996، ص 26.

(10) ابن منظور، **لسان العرب**، ط 3، تحقيق عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1988، ص 74.

(11) أبو حطب فؤاد، صادق أمال، **نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين**، ط 2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، صر، 1990، ص 177.

(12) جابر عبد الحميد جابر، **نظريات الشخصية**، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1986، ص ص 166- 167.

(13) مسن بول وآخرون، **أسس سيكولوجية الطفولة والمراهقة**، ترجمة أحمد سلامة، مكتبة الفلاح، الكويت، 1986 ص 537.

(14) محمد عمر أحمد أبو عنزة، **واقع إشكالية الهوية العربية: بين الأطروحات القومية والإسلامية**، دراسة من منظور فكري، رسالة ماجستير (منشورة) في العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2011، ص 39.

(15) الشريف الجرجاني، **التعريفات**، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1987، ص 314.

(16) محمد عمارة، **مخاطر العولمة على الهوية الثقافية**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، فبراير 1999، ص 6.

(17) محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص 14.

(18) سالم فاطمة الزهراء، **نحو هوية ثقافية عربية إسلامية**، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، 2008، ص 177.

(19) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **الخطة الشاملة للثقافة العربية**، ط 2، إدارة الثقافة، تونس، د. ت، ص 21.

(20) ماجد الزيود، **الشباب والقيم في عالم متغير**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006، ص 36.

(21) عزت حجازي، **الشباب العربي ومشكلاته**، سلسلة عالم المعرفة رقم (6)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، فبراير 1985، ص 27.

(22) محمد السويدي، **مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته**، المؤسسة الوطنية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،1991، ص 41.

(23) عبد القادر جغلول، **مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط**، ترجمة فضيلة الحكيم، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1982، ص 42.

(24) صامويل هنتنجتون، **صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي**، ترجمة طلعت الشايب، ط 2، 1999، ص 103.

(25) حمدي حسن عبد الحميد المحروقي، **دور التربية في مواجهة تداعيات العولمة علي الهوية الثقافية**، مجلة دراسات في التعليم الجامعي، العدد: 7، مركز تطوير التعليم الجامعي بجامعة عين شمس، القاهرة، أكتوبر 2004، ص 168.

(26) صامويل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 116.

(27) محمد بن سعد التميمي، **العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة**، القاهرة، مصر، 2001، ص 318.

(28) كلمة السيد كويشيرو ماتسورا، **رسالة المدير العام لليونسكو بمناسبة الاحتفال بالسنة الدولية للغات 2008**، متاح على موقع اليونسكو: www.un.org/arabic/events/iyl

(29) سعيد إسماعيل علي، **ثقافة البعد الواحد**، عالم الكتب، القاهرة، 2003، ص 16.

(30) عبد الرحمن عمر الماحي، **العولمة واستلاب الهوية الثقافية للمسلم**، المؤتمر التاسع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 27– 30 مارس 2007، ص 654.

(31) محمد أحمد محمد إسماعيل، **برنامج مقترح لتفعيل دور أنشطة نادي الطفل لتأصيل الهوية الثقافية لمواجهة التحديثات الحضارية بمراكز إعلام محافظة قناة السويس**، مجلة كلية التربية عين شمس، عدد: 30، ج 3، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006، ص 393.

(32) وارم العيد، **البعد الثقافي للعولمة وأثره على الهوية الثقافية للشباب العربي، الشباب الجامعي الجزائري نموذجاً**، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي، العدد: 2، جوان 2014، ص 10.

(33) عزت حجازي، مرجع سابق، ص 35.

(34) مرعي توفيق، أحمد بلقيس، **الميسر في علم النفس الاجتماعي**، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن 1984، ص 18.

(35) ماجد الزيود، مرجع سابق ص 103.

(36) علي وطفة، **الثقافة العربية وأزمة القيم في الوطن العربي**، مجلة المستقبل العربي، العدد: 192، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1995، ص 63.

(37) وليد طافش، **الشباب ومعركة الحياة المعاصرة**، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1994 ص 9.

(38) محمد خلف الله أحمد، **الدين وحماية الشباب من الانحراف السلوكي والفكري**، التوجيه الإسلامي للشباب من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1971، ص 190.

(39) صالح أبو ضلع، **العولمة والهوية**، المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون 4-1998/5/6، منشورات جامعة فلادليفيا، عمان، الأردن، 1999، ص 11.

(40) قسم دعم المجتمع، **دور الأسرة في تعزيز الهوية الوطنية**، ملخص ورقة عمل مقدمة لمؤتمر الأسرة في المجتمع الحديث، وزارة شؤون الرئاسة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 15- 16 ماي 2012، ص 9.

(41) محمد بومخلوف وآخرون، **الشباب الجزائري واقع وتحديات**، مطبعة الملكية، مخبر الوقاية والأرغنوميا، جامعة الجزائر 2، 2012، ص ص 293- 294.

(42) سلطان بلغيث، **تمظهرات أزمة الهوية لدى الشباب**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي حول: الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري يومي 27- 28 أكتوبر 2010، جامعة ورقلة، ص ص 353- 354.

(43) عبد الرحمن بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004، ص 161.

(44) كوسة فاطمة الزهراء، **أزمة الهوية عند الشباب الجزائري، دراسة استكشافية**، رسالة ماجستير في علم النفس العيادي (منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005/2004، ص 24

(45) Benachenhou. A, **Changement social, regime des terres et structures agraires au Maghreb**, Alger,1970, P 68.

(46) محمد خلف الله أحمد، مرجع سابق، ص ص 194- 195.

(47) أحمد السيد الشحات، **الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر 1983.

(48) زغو محمد، **أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب**، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، عدد: 4، جامعة الشلف، الجزائر، 2010، ص 99.

(49) فاطمة علي، **الشباب البحريني والهوية، الشباب في العالم العربي**، الجامعة الأمريكية في بيروت، لبنان، حزيران 2010، ص 6.

(50) محمد بن سعد التميمي، مرجع سابق، ص 111.

(51) محمد إبراهيم عطوة مجاهد، **بعض مخاطر العولمة التي تهدد الهوية الثقافية للمجتمع ودور التربية في مواجهتها**، مجلة مستقبل التربية العربية، المجلد: 7 ، العدد: 22، يوليو 2001، ص ص 183 – 184.

(52) آمنة ياسين بلقاسمي، محمد مزيان، **العولمة الثقافية وتأثيراتها على هوية الشباب المراهقين الجزائريين، دراسة تحليلية**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد: 8، جامعة قاصي مرباح، ورقلة، جوان 2012، ص 52.

(53) عباس محمود العقاد، **دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية**، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د. ت، ص ص 30- 31.